أولا : مقدمة تحليلية

الدراسات التاريخية الأكاديمية دائما ما تصور لنا حياة الأمم بكافة أشكالها وألوانها المضحكة منها والمبكية ، المليئة بالورود أحيانا والكثيرة الأشواك أحيانا أخرى فكما أنها توضح لنا الانتصارات التى تفخر بها الأمم توضح أيضا المصاعب والهزائم والانكسارات التى تتعرض لها بعض الأمم ، ونظرا لأن أساس هذه الدراسات هو البحث عن الحقيقة ، فان الحقائق دائما ما تستخلص من بطون الوثائق ، حيث انها السند الرئيسى للمؤرخ كما أنها المادة الخام التى تحمل بين سطورها تراث الأمم وكفاحها ، والتى يجد عندها المؤرخ دائما الحقائق المفقودة التى كاد النسيان يطويها •

وأهمية الدراسات الوثائقية أنها دائما ما تضيف دلالات جديدة للأحداث التاريخية ، وتجعل المؤرخ يقف على حقائق الأمور دون أدنى شك أو مواربة ، وقد تغير مفاهيم خاطئة قد توارثها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء فأخذت ثوب الحقيقة فى غير استحقاق •

ونتيجة لذلك فقد عزمنا — بمشيئة الله تعالى — على اخراج سلسلة من الدراسات عن وثائق عابدين الخاصة ببلاد الشام فى عصر محمد على كان باكورتها دراسة صدرت تحت عنوان « الجيش المصرى وفتح عكا » •

وها نحن أولاء نقدم الدراسة الثانية عن ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد على فى بلاد الشام وسنتبعها بدراسات أخرى ان شاء الله •

وقد اعتمدنا فى هذه الدراسة التى بين أيدينا على مجموعة منتقاة

من وثائق بلاد الشام اشتملت على بيانات وتقارير حربية ومراسلات من قادة القوات المصرية بالشام الى محمد على والى مصر ، كما اشتملت على أوامر وتعليمات محمد على الى هؤلاء القادة بخصوص سير العمليات والخطط التى يجب اتباعها والتى يتضح منها الاستعدادات الخاصة بمواجهة الدروز والموارنة ، كما يتضح منها أيضا مدى المعاناة التى لاقاها الجنود المصريون أثناء اخمادهم لهذه الثورات التى تصدعت فيها هيبة الجيش المصرى مما شجع على انتقال هذه الثورات الى كافة أنحاء الشام ، وأطاح بالوجود المصرى هناك فى نهاية الأمر •

كما تبين هذه الوثائق مدى مساندة بعض القوى الأوربية للثوار وتشجيعها لهم حتى مقاومة السلطة المصرية حتى لا تتعاظم قوة محمد على وينتهى الوجود المصرى فى الشام •

وقد قسمنا وثائق هذه الدراسة الى خمسة أقسام شمل القسم الأول منها وثائق خاصة بأسباب ثورة الدروز والتى كان من أهمها اصرار ابراهيم باشا على تجنيدهم ، ونزع سلاحهم واثقال كواهلهم بالضرائب ، وكيفية مواجهة القوات المصرية لهذه الثورة •

وشمل **القسم الثانى** الوثائق التى تبين مدى استفحال أمر هذه الثورة وانتشارها من حوران الى وادى التيم ، وتحرج مركز القوات المصرية أمامها ، وتعذر السيطرة عليها •

وتناول **القسم الثالث** الوثائق الخاصة بنجاح القوات المصرية فى اخماد هذه الثورة بعد طول عناء وهزائم متكررة •

وشمل **القسم الرابع** وثائق خاصة بثورة الموارنة وأسباب انقلابهم على ابراهيم باشا بعد أن كانوا حلفاءه الأصليين ، واثارتهم للموقف برمته ضد الحكم المصرى فى الشام •

أما **القسم الخامس** فقد شمل الوثائق التى تؤكد تحريض بعض الدول الأوربية والدولة العثمانية للثوار على مناوأة الحكم المصرى فى بلاد الشام ، والتى أدت فى النهاية الى انسحاب القوات المصرية من هناك .

وفيما يلى نعرض للموضوع :

أولا — الحكم المصرى وأسباب ثورة الدروز عليه :

بعد استسلام حامية عكا فى مايو ١٨٣٢ تمكن ابراهيم باشا من دحر الجيش العثمانى والاستيلاء على باقى بلاد الشام بسهولة كما تمكن من اكتساب محبة أهالى هذه البلاد بعد أن مناهم بالعديد من الوعود الخلابة ، ووطد الأمن فى بلادهم بعد أن كانت مهدا للفتن والقلاقل والثورات ، وأكره البدو على احترام سلطة الحكومة ، وحمى السكان من اعتداءاتهم ، وعامل الرعايا بالعدل ، وجعل لهم نظاما لجباية الخراج بعد أن كان مثل هذا النظام معدوما لديهم ، وانعش الزراعة والصناعة والتجارة يضاف الى ذلك أنه أظهر فى حكمه الانصاف والمساواة بين كافة الأديان بعد أن بلغ التعصب الدينى أقصى شدته فى ذلك الوقت فألغى التدابير التى كانت موجهة ضد نصارى الشام واتخذ من بعضهم عمالا وقوادا ، كما سمح للبعثات التبشيرية بالتوافد الى بلادهم[1] ، ومع ذلك فان طبيعة التكوين السكانى فى هذه المنطقة وتعدد عناصرها وعقائدها ، وتعصب كل طائفة لعقيدتها ، خصوصا بين المسلمين والمسيحيين[2] جعل

---

(1) Hourani, A. H., Syria and Lebanon, A Political Essay, Royal Institute of International Affairs, Oxford university press, printed in Lebanon. p. 160.

(2) Dodwell, H : The Founder of Modern Egypt. A Study of Muhamed Ali. Cambridge at the universit press 1931, p. 249.

ولطيفة سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١ — ١٨٤١ ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٣٦ .

من الصعب على ابراهيم باشا أن يرضى جميع الأطراف لأن ارضـــاءه لطائفة ما دائما ما كان يغضب طائفة أخرى .

ولمـــا كان ســـكان جبـــل لبنـــــان فى معظمهم اما دروز[٣] أو

---

(٣) الدروز هم غلاة الشيعة الاسماعيلية الذين الهوا الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى ويعتبر « حمزة بن على الزوزنى » المؤسس الحقيقى لمذهب الدروز كما يعتبره « نشتكين الدرزى » الفارسى الأصل أول من دعا الناس الى الاعتقاد بالوهية الحاكم بأمر الله معبود الدروز وعبادته عبادة سرية ، وبالرغم من تظاهر الدروز بالاسلام فانهم ينكرون أصوله كما ينكرون الاديان السماوية جميعها ولا يعترفون بالأنبياء ولا بالرسل ويعتقدون فى تناســـخ الأرواح ويحرصون اشد الحرص على كتمان عقائدهم السرية وينكرون ما يؤخذ عليهم منها . للتفاصيل انظر :

أ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج ٣ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧٣ ، ص ٢٠٥ .

ب — عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ، ص ٩٢ .

جـ — مؤلف مجهول : حسر اللثام عن نكبات الشام ، القاهرة — الطبعة الأولى ١٨٩٥ ، ص ٥١ .

وتمتاز هذه الطائفة بالشجاعة والاستبسال فى الحرب ، وتتركز معظمها فى الجبال بين صـــفوف القبائل العربية والمتعـــربة كالتنوخيين والمعنيين والارسلانيين والجنبلاطيين حيث ساد افراد تلك الطائفة فى مناطق الشوف والغرب والجرد والعرقوب ووادى ريحان والمتن ووادى التيم وحوران ، واصبحت هذه المناطق تعرف بجبل الدروز أو جبل الشوف فى عهد المعنيين والشهابيين . للتفاصيل انظر :

أ — حيدر الشهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين — تحقيق أسد رستم وفؤاد البستانى ، ج ٣ ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٣ ، ص ٥٦٥ — ٦٠٥ .

ب — بدر الدين الخصوصى : القضية اللبنانية فى تاريخها الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧ .

موارنة[٤] ، وكل من الطرفين يعد الآخر بمثابة العدو اللدود له ، فان اتباع ابراهيم باشا لسياسة التسامح الدينى مع نصارى الموارنة جعل الدروز يعدون هذه السياسة بمثابة انتقاص لحقوقهم ، فى حين نظر اليها الموارنة نظرة الاعجاب ، ووقفوا بجانب ابراهيم باشا وعدوه بمثابة القائد المحرر لهم ، ومن هنا فقد ناصب الدروز ابراهيم باشا العداء ، وآزروا العثمانيين ضده — وأظهروا طاعتهم للسلطان نكاية فيه ، وأثاروا الفتنة ضد القوات المصرية منذ بداية الأمر ، مما جعل ابراهيم باشا يقوم باخمادها ويعيد الأمن الى الجبل ، وحتى لا تتكرر مثل هذه الثورة أخذ ابراهيم باشا من كل قرية من قرى الدروز رجلين كرهائن لديه[٥] كما أخذ مائة من عقلائهم وعلمائهم ، ووضع بعضهم رهائن لدى خليفه الأمير بشير[٦] أما البعض الآخر فقد نفاه الى مصر لفترة[٧] ثم أعادهم الى بلادهم نتيجة لالحاحهم[٨] ، وتعهدهم بعدم التشجيع على الثورة ضد الادارة المصرية فى الشام مرة أخرى .

. وقد طالب ابراهيم باشا الدروز باظهار صدق خدمتهم له ، وأن يجمعوا رجالهم الذين يحملون السلاح لمساندة قواته فى نظير بعض الوعود الخلابة التى مناهم بها ، وتهديده لكل من يتخلف منهم أو يتأخر بالعقاب[٩] .

---

(٤) الموارنة هم أهم الطوائف المسيحية فى لبنان ، وقد أدخلتهم فرنسا فى كنفها خلال فترة الحروب الصليبية .

(٥) محافظ عابدين : محفظة رقم٢٣٤ تلخيص الوثيقة رقم١٨ المستخرجة من جرنال يوم السبت ٥ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ .

(٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ ترجمة الوثيقة رقم ٢٦ بتاريخ ٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ مكاتبة من ابراهيم باشا الى الجناب العالى .

(٧) الخصوصى : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٣ ترجمة الوثيقة رقم ٤٨ بتاريخ ٢٨ محرم ١٢٥٢ هـ المرسلة من ابراهيم باشا الى سامى بك .

(٩) الأمير حيدر الشهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين ، ص ١٦٢ .

ونظرا لما شاهده الدروز من حسن سيرة جنود ابراهيم باشا فى بلادهم وعدم تعرضهم لمس كرامتهم وأموالهم فقد أعادوا حساباتهم[١٠] ووقفوا بجانبه لفترة وقدموا له المساعدات الحربية التى سهلت تموين جيوشه وحفظت خطوط مواصلاته ثم سرعان ما انقلبوا عليه نظرا لتلون سياسته تجاههم تراجعه عن وعوده نحوهم ، وفرضه للضرائب والجزية عليهم ورغبته فى اضعاف قوتهم[١١] يضاف الى ذلك قيامه بتجنيدهم ونزع سلاحهم • وفيما يلى نعرض لأهم هذه الأسباب •

١ — تطبيق نظام التجنيد الاجبارى :

كانت محاولات تطبيق نظام التجنيد على الدروز بالرغم من نفورهم منه أكبر الأثر فى تذمرهم من الحكم المصرى لبلادهم فعلى الرغم من وعود ابراهيم باشا لهم باعفائهم من التجنيد فقد اضطر الى الاستجابة لأوامر والده بتجنيدهم فجمع كبار مشايخهم وطالبهم بتقديم ألف وستمائة شاب من الدروز[١٢] لتكوين أحد الآلايات منهم[١٣] ، كما أمر بتجنيد بعض الشبان من دروز حوران ووادى التيم ، وكانت اجابة المشايخ على طلبه بأنهم لا يستطيعون اكراه أحد من الدروز على دخول الجندية ، وتفاديا للصدام مع السلطة عقد زعماء الدروز مجلسا للمشاورة فى الأمر قرروا فيه مقابلة ابراهيم باشا واقناعه بالاستعاضة عن تجنيد رجالهم بدفعهم للبدل العسكرى[١٤] ، ولكن ابراهيم باشا رفض طلبهم

---

(١٠) سليمان أبو عز الدين : ابراهيم باشا فى سورية ، بيروت ، المطبعة العلمية ١٩٢٩ ، ص ٢٥٦ .

(١١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥١ ، ص ٣٠٠ .

(١٢) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٩١—١٩٢ .

(١٣) محافظ عابدين : عريضة رقم ٩٥ بتاريخ غاية ربيع الأول ١٢٥٦هـ.

(١٤) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦١ .

وأصدر أوامره بتجنيدهم رغم تحذير الأمير بشير له من مغبة العواقب المترتبة على ذلك .

وتنفيذا لهذه الأوامر بدأت القيادة العسكرية فى جمع الأعداد اللازمة للتجنيد من الدروز ، واستعملت فى ذلك القوة خلال جمعهم كلما اقتضى الأمر ذلك[١٥] ، مما أدى الى تكاتف الدروز ومقاومتهم لهذه السياسة[١٦] .

والسؤال المطروح هو هل كان اقبال محمد على على فكرة تجنيد الدروز ينطوى على بعد النظر أم كان تسرعا منه ، وقرارا اتخذه دون روية ؟

الواقع أنه على الرغم من حاجة محمد على الشديدة الى تجنيد الشوام نظرا لاتساع حروبه مع الدولة العثمانية ، وحتى يسد متطلبات جيشه الملحة فانه كان من الخطأ تطبيق قانون التجنيد الاجبارى فجأة على الدروز وذلك لعدة أسباب هى :

١ — أن محمد على كان حديث العهد بهذه البلاد ، ولم ترسخ فيها أقدامه بعد ، كما لم تستقر الأمور لقوانه فيها تماما مما جعل عواقب هذا الأمر غير مضمونة .

٢ — أن الدروز لم يتعودوا على نظام التجنيد الاجبارى من قبل بل كانوا يعدونه من باب القاء النفس فى التهلكة ، ومن هنا قاوموه بكل شدة .

٣ — أن الأمير بشير الشهابى وهو من أدرى الناس بنفسية الدروز كان قد حذر من التسرع فى اتخاذ هذه الخطوة ، ولكن محمد على لم يأبه لتحذيره .

---

(١٥) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .
(١٦) مؤلف مجهول : مرجع سابق ، ص ٦٩ .

وعلى كل حال فان من يقدر الخسائر المكاسب التى حصل عليها محمد على من جراء تجنيده للدروز يجد أن ثوراتهم قد أودت بحياة ما يزيد عن عشرة آلاف من قوات محمد على ، وهو رقم أكبر بكثير من عدد الدروز الذين أدخلهم محمد على فى سلك الجندية ، بل وأكثر مما خسرته جيوش محمد على فى الحروب مع الجيوش العثمانية نفسها سواء فى الشام أو فى الأناضول[١٧] .

قد يقول البعض ان ابراهيم باشا قد اضطر الى تنفيذ تعليمات والده بخصوص تجنيد الشوام عموما .

والواقع أنه كان يجب على ابراهيم باشا اقناع والده بالعدول عن ذلك ولو الى حين حتى لا تنفر قلوب أهالى الشام من حوله خصوصا وأن مسألة التجنيد قد قللت من أنصار محمد على فى الشام[١٨] وكانت من أكبر العقبات التى واجهته هناك .

وعلى كل حال فانه نظرا لفشل ابراهيم باشا فى تجنيد الدروز فانه عمد الى نزع سلاحهم أولا مما زاد الفتيل اشتعالا .

٢ — نزع السلاح :

كانت أوامر محمد على بتجريد أهالى الشام من أسلحتهم صفعة قوية لهم نظرا لتأصل غريزة جمع السلاح فى نفوسهم ، وللظروف الطبيعية التى يعيشونها والتى تحتم عليهم حملهم للسلاح .

وبالرغم من نجاح ابراهيم باشا فى جمع السلاح من معظم المناطق الواقعة تحت حكمه ، فانه وجد صعوبة بالغة أثناء جمع السلاح من الدروز الذين كان قد وعدهم من قبل بالابقاء على سلاحهم فى نظير

---

(١٧) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .
(١٨) محمد كرد على : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

تأييدهم له ، ثم نكث عهده معهم تنفيذا لأوامر والده ، فى حين سمح للموارنة أعداء الدروز بحمل السلاح •

ولما أرسل ابراهيم باشا وزيره محمد شريف لجمع السلاح من الدروز لم يكن الأمر سهلا بالنسبة له فقد وجه معارضة كبيرة منهم كادت تصل الى حد الاصطدام ، ونتيجة لتأزم الموقف قام مشايخ الدروز بزعامة يحيى الحمدان بمقابلة ابراهيم باشا فى دمشق فى محاولة لاثنائه عن فكرة جمع السلاح من أبناء جلدتهم ، وتذكيره بوعوده لهم بشأن ذلك، ويبدو أن ابراهيم باشا لم يرتح لطلباتهم فقام وصفع زعيمهم يحيى الحمدان على وجهه ، كما نهر بقية أعضاء الوفد ، ونتيجة لذلك خرج زعماء الدروز من عنده ، وكلهم تصميم على المقاومة فعقدوا اجتماعا بعد وصولهم الى السويداء قرروا فيه اعلان الحرب على ابراهيم باشا وقواته(١٩) •

وحتى لا يتكتل أهالى الجبل ضد محمد على رأى ابراهيم باشا أن يقوم ببذر بذور الشقاق بين الدروز والنصارى فى محاولة منه لضرب بعضهم البعض فاستمال نصارى الجبل اليه ، ووزع عليهم السلاح وطلب منهم المساعدة للقضاء على ثورة الدروز ، وأوهمهم بأنه لن ينزع سلاحهم بل سيكتفى بنزع سلاح الدروز ، ونتيجة لذلك وافق الموارنة على مساندتهم فجند منهم أربعة آلاف مقاتل لاخماد الثورة التى أشعلها الدروز فى حوران ووادى التيم(٢٠) ، وبعد أن نجح ابراهيم باشا فى القضاء على هذه الثورة بمساعدة الموارنة ، وبعد أن انتهى من نزع سلاح الدروز رأى ضرورة نزع سلاح الموارنة أيضا مما كان له أسوأ الأثر فى اندلاع ثوراتهم ضده والتى استمرت مشتعلة ولم ينطفىء لهيبها الا بعد خروج الحكم المصرى من الشام تقريبا •

---

(١٩) حنا ابى راشد : جبل الدروز ، القاهرة ، مكتبة زيدان العمومية ، الطبعة الاولى ١٩٢٥ ، ص ٤٨.

(٢٠) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

٣ ــ الضرائب والاحتكار والسخرة :

على الرغم من اعلان ابراهيم باشا عن عزمه على رفع المعاناة عن الأهالى ووضعه لنظام جديد للضرائب خفف فيه عن كواهل الناس الكثير منها مما جعلهم يرتاحون لحكمه فى أول الأمر فان حاجة والـــده الى الأموال لمواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية جعلته يبحث عن منابع أخرى لسد متطلباته ومن هنا فرض ضرائب جديدة على الأهالى زيادة على ما اعتادوا دفعه ، ومن ذلك أنه أمر بفرض ضرائب على كل فدان من الأرض دون النظر الى ما تستخرجه هذه الأرض من انتاج ، مما جعـــل بعض أصحاب الأراضى يضطرون الى تركها والرحيل عنها ، يضاف الى ذلك أنه فرض ضريبة سنوية على الأشجار اختلفت قيمتها من منطقـــة الى أخرى[٣١] والى جانب ذلك فرض ضريبة (الفردة) « الرأس » التى لم تكن معروفة لدى أهل الشام فى ذلك الوقت فدفعها الذكور من السكان عن كل فرد من سن الرابعة عشرة وحتى سن الستين وقام بتحصـــيل الجزية على جميع الأفراد دون تمييز بين الجنسية أو الديانة[٣٢] مما جعل المسلمين ينفرون من ذلك .

يضاف الى ذلك قيامه باحتكار أصناف الحرير للحكومة مما ألحـــق الضرر بمنتجيه ، ومنع التنافس بين التجار على شرائه وحرم المنتجين مكاسبهم منه[٣٣] .

---

(٢١) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ــ ١٢٥ .

(٢٢) حنا ابى راشد : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢٣) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦٣ ، والرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

هـذا الى جانب استخدامه للشوام فى التنقيب عن المعـادن[٢٤] وتسخيرهم فى القيـام على خدمة مشاريع الحكومة .

كل هذه الأمور زادت من الاستياء العام لدى الشوام ، وجعلتهم يعملون على التخلص من حكم محمد على فى بلادهم ويتمنون عـودة الحكم العثمانى[٢٥] .

٤ — انشاء المحجر الصحى :

نظرا لتفشى مرض الطاعون فى بلاد الشام خلال فترة تواجـد ابراهيم باشا رأى محمد على انشاء محجر صحى حول المنازل التى ظهر فيها هذا المرض ، ونظرا لمـا أشيع أن الذين يتوفون بهذا المرض يدفنون بدون غسل ، وبدون أن يصلى عليهم بل يتم احراقهم بالجير منعا لانتشار المرض والحد من مفعوله[٢٦] فقد استاء الأهالى من ذلك وطالبوا بالغاء هذا المحجر ، وشجعهم على ذلك علماء الشام الذين عدوا اقامة مثل هذا المحجر لا يتفق مع تعاليم الشرع الشريف[٢٧] .

وعلى الرغم من استياء الناس من هذا المحجر ، وبالرغم من أنه لم يأت بالفائدة المرجوة منه[٢٨] فقد أصر محمد على على بقائه ، واستمر

---

(٢٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، ترجمة الكتاب العربى الوارد ضمن تقرير بحر برا رقم ١٥٤ — ٣ .

(٢٥) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٨ .

(٢٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، وثيقة رقم ١٨ — ٣ فى ٧ محرم ١٢٥٦ هـ .

(٢٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٠٠ — ٣ بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ.

(٢٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ — ٣ فى ٣ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

العمل فيه حتى هاجمه الثوار ، واضطرت الحكومة الى ايقاف تشغيله[٢٩] .

٥ — مناصبة الحكم المصرى العداء فى شخص الأمير بشير :

أدى استعانة محمد على بالأمير بشير الشهابى الى استياء اللبنانيين منه[٣٠] لأنهم كانوا يرون فى الأمير بشير حاكما مستبدا أوقع بين مشايخهم ، وصادر ممتلكاتهم ، وبذر بذور الشقاق بينهم .

---

(٢٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ — ٦ .

(٣٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ ترجمة الوثيقة رقم ٢٦ بتاريخ ٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ .

ثانيا ــ استفحال ثورات الدروز وتصدع هيبة الجيش المصرى أمامها :

ونتيجة لهذه الأسباب التى اتخــذتها الادارة المصرية اشــتعلت الانتفاضات بين أهالى الجبل فتحالف دروز حوران مع البدو فى أواخر نوفمبر ١٨٣٧ وكونوا جبهة مناهضة ورافضة للحكم المصرى فى بلادهم، فقطعوا الطرق على المارة[١] ، ونهبوا القوافل وهددوا مواصلات الجيش، وقاموا بضرب المكلفين بجمع السلاح من الأهالى، واستردوا منهم السلاح الذى جمعوه[٢] ، وتعرضوا لذخائر الجيش واستولوا على بعضها كمــا اعتدوا على مخافر الجنود ، وأسروا بعض الضباط[٣] وقتلوا كل من وجدوه منفردا من العسكر النظامى ، وهاجموا البريد الحكومى ونهبوه وقتلوا بعض حراسه[٤] وأسروا جياده ، وهاجموا المطاحن الأمــيرية ونهبوا ما فيها[٥] ، وقاموا بمهاجمة مقر الحجر الصحى واعتدوا على حراسه وسلبوهم بنادقهم ، يضــاف الى ذلك اقلاقهم للرعية والاعتداء على أموالهم ، ونهبهم للقوافل المارة بين بيروت ودمشق[٦] ، واغارتهم على بعض الأحياء التجارية وفرضهم للاتاوات على التجار وأصــحاب

---

(١) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٢) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقــم ١٣٦ ــ ١ بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ .

(٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ ــ ٤ بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ من سليمان باشا رئيس الجهادية الى الباشا السر عسكر .

(٤) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية ١٤٨ ــ ٤ بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ (من الشيخ على وكيل ناظر البوستة الى ولى النعم) .

(٥) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٩ ــ ٨ بتاريخ ٤ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من محمود نامى الى الجناب العالى .

(٦) محمد كرد على : المرجع السابق ، ص ٦١ .

رءوس الأموال وتهديدهم بحرق مصانعهم وهدم بيوتهم والاستيلاء على أموالهم اذا لم يقفوا بجانبهم فى مناوأة السلطة المصرية[٧] .

ونتيجة لانفلات الموقف ، واستمرار عصيان الدروز وتوتر الحالة الأمنية حاول ابراهيم باشا اسداء النصح للعصاة بالكف عن مناؤتهم للحكومة[٨] وطمأنتهم بأن الأسلحة العادية التى يملكونها ستظل لهم ، بينما المطلوب منهم فقط هو السلاح الذى صرفته لهم السلطة بطريق الأمانة[٩] التى يجب أن ترد لأصحابها ، كما حاول ابعاد الشائعات والوساوس التى تساورهم وتدفعهم الى الامتناع عن تسليم أسلحتهم خصوصا ما تردد بينهم من أنه متى أخذ منهم سلاحهم تسوق السلطة أبناءهم الى التجنيد[١٠] .

ولتهدئة الموقف طلب ابراهيم باشا الاجتماع بمشايخ الدروز ونبه عليهم بنصح أبناء طائفتهم بالتوقف عن الثورة حماية لأرواحهم وعمران بلادهم ، وهددهم بالانتقام اذا أصروا على تمردهم[١١] يضاف الى ذلك أنه قام بمحاولات للتفريق بين أهالى الجبل بهدف النيل من كل منهم على حدة[١٢] ، ولما لم تجد هذه المحاولات نفعا وفشلت كل الطرق

---

(٧) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٩ — ٨ بتاريخ ٤ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من محمد نامى الى الجناب العالى .

(٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٦ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤ .

(٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣٨ — ٣ صورة العريضة المرسلة الى السر عسكر .

(١٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة خطاب متسلم حاصبيا بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ .

(١١) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٤٨ — ٤ بتاريخ ٣ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(١٢) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٥٢ — ٣ بتاريخ ٥ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

السلمية لاقناع الدروز أرسل ابراهيم باشا انذارا الى دروز حوران يطلب منهم فيه انهاء عصيانهم للحكومة ، ولما انتهت مدة الانذار دون جدوى أرسل اليهم قواته الفرقة تلو الأخرى لهاجمتهم[١٣] ولقطع الامدادات عنهم ، ونتيجة للارتباط الوثيق الذى يجمع بين الدروز فقد قام شبلى العربان كبير ثوار وادى التيم بمساندة دروز حوران ، وآزره فى ذلك دروز اقليم البلان[١٤] وعرب تلك الجهات باستدراج الجيش المصرى الى معقل صخرى شديد الوعورة كثير المغاور يسمى اللجاة[١٥] .

وعلى الرغم من التفوق العددى لقوات ابراهيم باشا على الدروز فان وعورة مسالك اللجاة ، وصعوبة قيام قوات نظامية بالحرب فيها قد جعل الدروز يمتلكون زمام الموقف ، ويحدون من خطورة الجيش المصرى المهاجم[١٦] ، وقد أوضحت احدى الوثائق ذلك فذكرت بأن العساكر المصرية « كانت تحارب وهى تسير مجتمعة فى منطقة صخرية ، ولم يمكنها الاختباء وراء الصخور القائمة هناك »[١٧] . بينما الدروز الذين يعرفون طبيعة بلادهم وأماكنها المحصنة كانوا « قد كمنوا خلف تلك

---

(١٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٦ صورة الوثيقة العربية رقم ٦٧ — ٢ (مكاتبة من السر عسكر الى الأمير بشير) .

(١٤) الأمير حيدر الشهابى : الروض النضير ، القاهرة ، مطبعة السلام ١٩٠١ ، ص ١٠٣٢ .

(١٥) تقع اللجاة فى شمالى حوران وتبلغ مساحتها نحو ١٤٠٠ كيلو متر مربع ، وطولها من الشمال الى الجنوب أربعون ، وعرضها من الغرب الى الشرق خمسة وثلاثون كيلو مترا ، ونظرا لوعورة مسالك هذه المنطقة فقد كانت معقلا للعصاة والمتمردين ، ومن هنا وجد ابراهيم باشا المصاعب عند اقتحامها .

أحمد وصفى زكريا : عشائر الشام ، ج ٢ ، دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م ، ص ٤٢١ — ٤٢٤ .

)١٦(سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(١٧) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٢٥٣ هـ (مكاتبة من محمد شريف الى ولى النعم) .

الصخور وراحوا يطلقون النار على العساكر»[١٨] وهم يرددون الأناشيد الحماسية التى من بينها « برهومة وايش لك عنـدنا حوران والوعرة لنا »[١٩] • وكانت نيران العساكر المصرية قلما تصيب الثوار « مهمـا أكثروا من اطلاق النار الأمر الذى أثار فى الأشقياء روح الجرأة ، وأوقع الرعب فى قلوب العساكر »[٢٠] •

وخلال تلك المعارك تصدعت هيبة الجيش المصرى حيث طوقه الدروز فى مسالك اللجاة الوعرة ، وقتلوا منه عشرة آلاف مقاتل بينهم عـدد غير قليل من القواد كما أحاطوا بمن تبقى من القوات المصرية ، وألقوا فى قلوبهم الذعر ، وقتلوهم عن بكرة أبيهم[٢١] •

ولقد كان لهذه الهزيمة المريرة أصداء واسعة حيث لاقى الجيش المصرى خلالهـا من الأهوال ما لم يتعـرض له فى حروبه مع الدولة العثمانية ، ومع أن القيادة المصرية قد بررتها بوعورة مناطق القتـال وانشغالها برصد تحركات الجيوش العثمانية لمواجهتها فان محمد على لم يقتنع بذلك بل أرجعها الى سوء تدبير القادة وانصرافهم عن اليقظـة المطلوبة فى مثل هذه الأمور[٢٢] •

ونتيجة لتأزم الموقف تضاربت الأفكار حول طريقة المواجهة القادمة مع الدروز ، فقد رأى شريف باشا والى الشام أن تتفرغ القوات المصرية

---

(١٨) الوثيقة نفسها .

(١٩) الأمير حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٣ .

(٢٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٢٥٣ (مكاتبة من محمد شريف الى ولى النعم).

(٢١) حنا أبى راشد : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢٢) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٤٦ بتاريخ ٣ ذى الحجة ١٢٥٣ هـ (صورة الخطاب الموجه من محمد على الى شريف باشا) .

لمواجهة العثمانيين فى حين يتم تسليح قوة من نصارى الجبل لضرب الدروز واخماد ثورتهم[٢٣] .

ورأى ابراهيم باشا ضرورة الاستعانة بعساكر غير نظامية من الأرناءوط فى قتال الدروز لاعتيادهم القتال فى المناطق الجبلية[٢٤] .

وقد رفض محمد على الرأى الأول على أساس أنه لا يتفق مع كرامة الحكومة المصرية وشهرتها[٢٥] وأصر على أن تقوم القوات المصرية نفسها بهذا العمل ، بينما وافق على الرأى الثانى وأرسل الى ابنه أربعة آلاف أرناءوطى تحت قيادة مصطفى باشا لمساندته فى محاربة الدروز فى منطقة « الوعرة »[٢٦] .

وعلى الرغم من المحاولات المتعددة لايقاف التدهور المستمر فى الجبل فقد استمر الدروز فى عنادهم نتيجة لتشجيع الافرنج لهم وامدادهم لهم بالذخيرة والسلاح ، واتخذوا من منطقة بيروت ميدانا لتمردهم[٢٧] فحاولوا الاعتداء على عساكر البحرية هناك[٢٨] ثم توجه

---

(٢٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٢٥٣ هـ (مكاتبة من محمد شريف باشا الى ولى النعم) .

(٢٤) حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٢ .

(٢٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٤٦ بتاريخ ٣ ذى الحجة ١٢٥٣ هـ (صورة الخطاب الموجه من محمد على الى شريف باشا) .

(٢٦) حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٣ .

(٢٧) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ — ٢٩ — ٤ بتاريخ ٦ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(٢٨) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٩١ — ١٢٩ — ١ بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٢٥٦ هـ .

بعضهم الى بعلبك يقصد نهب الغلال الموجودة بها[٢٩] ، وازداد تدهور الموقف بانضمام أهالى كسروان الى حركة العصيان واشتراطهم عدة شروط لايقاف تمردهم بدأت بتمسكهم بعدم نزع السلطة لسلاحهم وعدم تجنيدهم ، ورفع الضرائب عنهم ، وانتهت باصرارهم على عدم مهادنة السلطة المصرية[٣٠] ثم أخذوا فى التوجه غربى البقاع وبلاد حاصبيا وراشيا وزحلة وبعلبك وغيرها لأجل اشعال نار الفتنة هناك ، وتظاهر معهم على فايد بك أحد أمراء بيت أبى اللمع القاطنين فى مقاطعة المتن[٣١] .

ونظرا لغموض الموقف وخطورته ازداد قلق محمد على على قواته وفكر فى المجىء الى الجبل بنفسه للاشراف على سير المعارك[٣٢] ، كما فكر فى أن تترك اليه شئون جبل الدروز لادارتها بالطريقة التى تساعد على استقرار النظام فيها ، وذلك بأن ترفع جميع الأمور الخاصة بالجبل اليه[٣٣] .

ولكن ابنه ابراهيم هون عليه الأمر ، وأقنعه بأن الأمور ليست بالسوء كما يتصور .

---

(٢٩) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٤ — ١ بتاريخ ١١ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(٣٠) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٧٣— ٢٩ — ٣ بتاريخ ١٣ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(٣١) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٧٢ بتاريخ ١٤ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(٣٢) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ — ١ بتاريخ ١٥ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من ابراهيم باشا الى الجناب العالى .

(٣٣) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ — ٢٩ — ٣ فى ١٥ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

وعلى كل حال فانه خشية من أن يمتد عصيان الثوار الى الجهات المجاورة للجبل ، فقد رأى ابراهيم باشا ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لردع العصاة ، ونتيجة لذلك طلب من أمير اللواء عثمان باشا القدوم الى بعلبك على رأس خمس آلايات مشاه وآلاى من الفرسان وعدد من مدافع الجبل لتأديب الثوار ، اذا أصروا على الاستمرار فى عصيانهم أما اذا طلبوا الأمان فيعطى لهم[٣٤] .

ولما أصر الدروز على تمردهم بدأ ابراهيم باشا يتخذ استعداداته لاقتحام الجبل فأمر كبار قواده باتخاذ الطريق السهل خلال الصعود اليه وعدم ارتياد الطرق الصعبة تجنبا للكمائن التى قد ينصبها الثوار للجنود وطالبهم بأن يكون الهجوم على الجبل من جهات متعددة حتى لا يتأخر صعود الجنود الى الجبل فى الوقت المناسب ، وأمرهم بأن يبدأ الهجوم بالآلاى الثانى عشر المشاة أقوى الآلايات المقاتلة يدعمه حوالى ألفى مقاتل من العساكر لتغطية زحفه[٣٥] واتخاذ المواقع على المرتفعات لتسهل الاحاطة بالثوار وعدم الاغترار بكثرتهم العددية ، كما أمرهم باتخاذ أقصى درجات الاستعداد واستنفار الجنود والمحافظة على مئونتهم تحسبا للظروف الصعبة[٣٦] .

وخلال الاستعدادات العسكرية لاقتحام الجبل طلب أهالى « المتن » الأمان « وأظهروا الرغبة فى الانتظام فى سلك الطاعة ، وبدأ يسلمون أسلحتهم »[٣٧] أما باقى الدروز فقد نزحوا الى جبل حوران وتحصنوا فى قراه الخربة المنيعة .

---

(٣٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٨ — ١٤ بتاريخ ٣ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ (من جناب السر عسكر الى سليمان باشا) .

(٣٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٨ — ٦ فى ١١ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(٣٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٤٨ — ٥ ،

(٣٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة ترجمة الوثيقة التركية رقم ١ بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٢٥٦ هـ .

وخشية أن يتكاتف دروز لبنان ووادى التيم مع دروز حوران فقد طلب ابراهيم باشا من الأمير بشير المساندة فاستجاب الأمير للامر ، وأرسل حفيده الأمير مجيد قاسم بعسكر لصد دروز لبنان ووادى التيم عن انجاد دروز حوران والمحافظة على الأمن ، كما أرسل حفيده الثانى الأمير محمود خليل الى اقليم حاصبيا لارهاب الدروز اللبنانيين حتى لا ينجدوا دروز « الوعرة » ، وقد تمكن الأمير مجيد من هزيمة الثوار فى اقليم البلان ثم أعطاهم الأمان ، أما الأمير محمود فقد انضم الى قوات ابراهيم باشا ، ولم يلبث أن تغير الموقف عندما حضر شبلى العربان بعساكره من « الوعرة » وحاصر القوات المصرية ثم قام بمهاجمتها حتى فرت أمامه منهزمة نحو البقاع ، وتتبعها حتى قتل منها نحو ثلاثمائة رجل وشتت الباقين[٣٨] .

وهكذا نجح الدروز هذه المرة أيضا فى هزيمة القوات المصرية مما شد من عزائمهم ، وزعزع الثقة فى نفوس قوات ابراهيم باشا .

---

(٣٨) حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٣ .

ثالثا ــ نجاح القوات المصرية فى اخماد الثورة الدرزية :

نتيجة للهزائم المتكررة التى حاقت بالقوات المصرية أمام الدروز بدأ ابراهيم باشا يبحث عن الطريقة المناسبة التى تمكنه من اخضاع هؤلاء الثوار فرأى أن الاستيلاء على ينابيع المياه التى يستقى منها الدروز فى داخل اللجاة تجعلهم يضطرون الى الخروج من معاقلهم فى طلب الماء فيسهل على الجيش المصرى الايقاع بهم[١] ، ومن هنا طلب من والده ارسال بعض الابراج اللازمة بالقرب من موارد المياه ليتحصن فيها جنوده ، ويتمكنوا من منع الدروز من الوصول اليها حتى يضطروا الى التسليم[٢] .

ولما كان أمر السيطرة على جميع منابع المياه بالغ الصعوبة فقد رأى ابراهيم باشا الاحتفاظ بموارد المياه التى تكفى حاجة جيشه ، وردم ما زاد عن ذلك بالتراب ، ولما تبين له استحالة ذلك هداه تفكيره الى اتباع الطريقة الميكافيلية « الغاية تبرر الوسيلة » فرأى تسميم موارد المياه التى لا تحتاجها قواته فأرسل الى « كلوت بك » ناظر مدرسة الطب فى مصر ــ فى ذلك الوقت ــ يطلب منه استحضار محلول قاتل لوضعه فى المياه التى يشرب منها الدروز حتى ينتهى من أمرهم ، ولكن « كلوت بك » لم يستجب لطلبه وحاول منعه من استعمال تلك الطريقة لما فيها من الفتك بأرواح الأبرياء من النساء والأطفال[٣] ، ولكن ضيق ابراهيم باشا من استفحال أمر العصاة دفعه الى أن يستحضر صيدليا من دمشق يدعى فيجارى Figari ومعه كميات وافرة من السموم لهذا الغرض .

---

(١) سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .
(٢) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الترجمة التركية رقم ٨٠ أصلى بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى .
(٣) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦٢ .

ويبدو أن ابراهيم باشا تراجع فى النهاية عن هذه الفكرة لمخالفتها للحقوق الانسانية(٤) .

وعلى كل حال فقد دارت معارك عنيفة بين الثوار وقوات ابراهيم باشا استبسل الثوار فى معظمها ، وكسروا القوات المهاجمة مرات ومرات حتى جهز لهم ابراهيم باشا جيشا قوامه عشرون ألف مقاتل خاض به معارك طاحنة مع الثوار استمرت حوالى شهرين كانت غالبا ما تدور رحاها حول ينابيع المياه التى توقف عليها مصير المعارك .

وفى نهاية الأمر اضطر الدروز الى الخروج من « اللجاة » لشدة الحر وقلة المياه التى فى حوزتهم ، ولما أطبقت القوات المصرية عليهم(٥) لجأوا الى وادى التيم .

وفى وادى التيم نجح الثوار فى احراز العديد من الانتصارات مما أحرج موقف القوات المصرية هناك ، وشجع الدروز على مواصلة تحديهم لابراهيم باشا .

ولما كان أسلوب الخداع مطلوبا فى مواجهة مثل هذه المواقف فقد نصب ابراهيم باشا شركا للايقاع بالدروز وذلك بأن أوعز اليهم عن طريق بعض عيونه بأن مقادير كبيرة من الذخائر واردة للقوات المصرية عن طريق وادى بكا(٦) حتى يسرع الدروز الى هذه المنطقة للاستيلاء عليها فيقعوا فى الكمين المعد لهم ، وفعلا فبعد أن انطلت هذه الخديعة على الدروز أرسلوا أعدادا كبيرة من قواتهم تحت قيادة الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر العماد لقطع الطريق أمام الذخيرة الواردة والاستيلاء

---

(٤) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٥) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

(٦) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

عليها وهناك وقعوا فى الكمين حيث وضعهم ابراهيم باشا بين نيران قواته من الجانبين مما اضطرهم الى الفرار فتعقبتهم القوات المصرية فى وادى بكا وحاصرتهم من كل جانب وسدت عليهم باب الخلاص ، وأعملت فيهم السيف حتى تم استسلامهم[٧] وحتى لا يعيد ابراهيم باشا المواجهة معهم مرة ثانية ويتفرغ لمواجهة العثمانيين الذين كانت قواتهم قد اقتربت من حلب فانه لم يرد الانتقام من الدروز الى حد اذلالهم فاتبع معهم سياسة المهادنة بأن أصدر عفوه عنهم ، وأعفاهم من التجنيد ومن الضرائب التى كانت تثقل كواهلهم ، كما أنه لم ينزع منهم سوى السلاح الحكومى ، أما أسلحتهم الشخصية فقد تركها لهم[٨] يضاف الى ذلك أنه أفرج عن زعيمهم الذى كان قد اقتيد اليه أسيرا وأمر باعادة سلاحه اليه بشرط أن يدخل فى طاعته وينتظم فى سلك خدمته[٩] كما وافق للدروز على أحقية انتخاب شيوخهم .

وهكذا انتهت الثورة الدرزية فى ٢٢ أغسطس ١٨٣٨ بعد مضى تسعة أشهر من نشوبها[١٠] وبعد أن تعرض فيها الجيش المصرى لأهوال لم يتعرض لها من قبل ، وتكبد فى سبيل اخمادها الخسائر الفادحة سواء أكانت فى الأرواح أم فى المعدات[١١] .

---

(٧) للتفاصيل انظر : حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٤ .
(٨) حنا ابى راشد : المرجع السابق ، ص ٤٩ .
(٩) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .
(١٠) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .
(١١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

رابعا — ثورات الموارنة ضد الحكم المصرى :

وما كاد ابراهيم باشا ينتهى من نزع سلاح الدروز حتى أمر باسترداد ثلاثة آلاف بندقية التى سلمتها السلطات المصرية لنصارى الجبل[١] أثناء اخماد حركة الدروز[٢] بحجة أن ترك السلطة للسلاح فى أيديهم أدى الى تردد الدروز فى تسليم أسلحتهم ، ولكن النصارى لم يستجيبوا لذلك فامتنعوا عن تسليم أسلحتهم وقاموا باثارة باقى سكان الجبل ضد الحكم المصرى[٣] فعقد زعماؤهم اجتماعا مع زعماء الدروز فى دير القمر ، وتعاهدوا على العمل يدا واحدة ضد ابراهيم باشا وأنشئت لهذا الغرض صناديق لشراء السلاح كما عقد الثائرون دروز ونصارى وبعض من الشيعة والسنة مؤتمرا فى « انطلياس » فى يونيو ١٨٤٠ أقسموا فيه يمينا عند مذبح كنيسة مار الياس على أن يظلوا يدا واحدة[٤] ، وبعثوا بنداء الى أهالى حاصبيا وجبل القدس ونابلس وحوران وعجلون للمشاركة فى الثورة[٥] تعاهدوا فيما بينهم على التخلص من الحكم المصرى أو الموت .

وفى هذا المؤتمر انتخب الثوار فرنسيس الخازن قائدا وزعيما[٦] ،

---

(١) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة المكاتبة ٦٩ اصلية بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٥٦ هـ .

(٢) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٣٨ بتاريخ غاية ربيع الأول ١٢٥٦ هـ .

(٣) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ وثيقة رقم ١٤٨ — ٥ بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ (صورة خطاب من الأمير بشير الشهابى الى رئيس رجال الجهادية) .

(٤) الخصوص : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٥) محافظ عابدين : وثيقة رقم ٩٥ بتاريخ غاية ربيع الأول ١٢٥٦ هـ.

(٦) فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ اقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر ، بيروت ، ص ٥١٥ .

وقد انضم بطريرك الكنيسة المارونية ورجال الدين فيها الى الثوار ، فأعلن البطريرك مرسوم الحرمان ضد كل من لا يشترك فى الثورة ضد القوات المصرية[٧] .

ونتيجة لذلك اندلعت الثورات ضد الحكم المصرى فى مناطق مختلفة فى زحلة وبعلبك والبقاع وطرابلس[٨] ، وقام الثوار بمهاجمة القوات المصرية والاستيلاء على مطاحن الغلال الحكومية وغيرها من المستودعات الأميرية .

وباشتداد نار الثورة واستفحال مخاطرها بدأ ابراهيم باشا فى تقييم موقفه ، وبعد أن وجد أن هناك اتفاقا حقيقيا بين الدروز والموارنة وان الجبل برمته قد عمد الى العصيان ، رأى أنه من الأسلم تسكين الموقف ، فدعا بعض رهبان وقساوسة دير القمر ووجهائه لاقناعهم بنصح نصارى الجبل بالتوقف عن الثورة ، والعدول عن عنادهم بتسليم البنادق التى فى حوزتهم ، ووعدهم بأن السلطة لن تجند منهم أحدا ، وهددهم بأنه فى حالة عدم الاستجابة لمطالبه ، والاصرار على عنادهم فانه سيقوم بمحاصرة الجبل وتدميره ، وتخريب بيوتهم وتشتيت أولادهم[٩] .

ويبدو أن نصائح ابراهيم باشا الممزوجة بالتهديد والوعيد قد وجدت من يستمع اليها فنصح البطريرك مار يوسف أبناء جلدته بتسكين ثورتهم حتى لا يتعرض الجبل للخراب[١٠] .

ولما كانت للثوار مطالب أساسية حتى يتوقفوا عن الثورة فقد

---

(٧) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .
(٨) الخصوصى : المرجع السابق ، ص ٢٠ .
(٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ — ٦ .
(١٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٧٨ — ٢٩ — ١٢ بتاريخ ١٧ ربيع الثانى ، ١٢٥٦ هـ .

أرسلوها الى الأمير بشير ليبلغها الى ابراهيم باشا بينوا فيها الظلم الواقع عليهم نتيجة لاصرار السلطة المستمر على تجنيدهم ونزع سلاحهم وتسخيرهم فى منجم الفحم الحجرى وفرضها للضرائب العديدة عليهم[١١] . وطالبوا برفع هذه الأعباء ، وألا تزيد الضريبة التى يدفعونها عن ضريبة الميرى ، على ألا تدفع الا على الأحياء فقط ، كما أبدوا رغبتهم فى المشاركة السياسية لبلادهم بانشاءديوان للمشورة فى بيت الدين يؤلف من عضوين عن كل طائفة[١٢] وهددوا باستمرار عصيانهم حتى تتحقق مطالبهم كما طالبوا بضمان من الدول الأوربية لتنفيذ هذه المطالب[١٣] وقد استجاب ابراهيم باشا لهذه المطالب بعد أن أستأذن واده بأن « يغض النظر عن ثلاثة الآلاف بندقية الموجودة فى أيديهم »[١٤] .

ولما رأى الثوار ميلا من السلطة للاستجابة لمطالبهم أعلن أهالى دير القمر ومقاطعتى شحار ومناصف الخضوع والطاعة للسلطة ، وتعهدوا برد كل ما اغتصبوه منها بشرط أن يتم الصفح عنهم[١٥] ، ولما أعطاهم ابراهيم باشا الأمان أخلدوا الى السكون وعادوا الى أعمالهم واشتغلوا فى تجارتهم لكسب عيشهم[١٦] كما قاموا بتسليم جياد البريد التى كانوا

---

(١١) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٥٢ — ٣ بتاريخ ٥ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٢) سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(١٣) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(١٤) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٩ — ١ بتاريخ ١٥ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(١٥) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية ١٤٩ — ٤ بتاريخ ٣ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(١٦) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ — ٧ بتاريخ ٦ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

قد استولوا عليها ، والأشياء الأخرى التى اغتصبوها من السلطة[١٧] .

وبذلك توقفت ثورة معظم أهالى الجبل فيما عدا أهل المتن الذين أخذت السلطة تسعى حثيثا لتهدئتهم وادخالهم فى دائرة الخضوع[١٨] ولكن ما لبثت الأمور أن تطورت بتدخل الدول الأوربية فى المسألة ، وانتقال القضية برمتها الى طور جديد .

---

(١٧) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ — ٢٩ — ٤ بتاريخ ٦ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٨) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٥٢ — ١ بتاريخ ٧ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

خامسا — تحريض بعض الدول الأوربية والدولة العثمانية للثوار ضد الحكم المصرى :

الواقع أنه كان للدسائس والشائعات الأوربية والتركية أكبر الأثر فى استثمار هياج الثوار وفى استمرار عصيانهم[١] فقد خشيت الدول الأوربية من عواقب تعاظم قوة محمد على بعد غزوه لبلاد الشام وتهديده للاستانة ، فكانت انجلترا تحرص بنوع خاص على ايجاد المصاعب أمام قواته لاجباره على التراجع والانسحاب فراقبت الأمور مراقبة دقيقة كما زرعت بذور الثورة بين الأهالى عن طريق عملائها وألقت فى روعهم أن أوربا مصممة على اجلاء القوات المصرية من بلاد الشام بالقوة[٢] اذا لم يرضخ محمد على للحلول السياسية ، كما شجعتهم على العصيان بحجة أنهم اذا ثبتوا على عصيانهم نحو خمسة عشر يوما سيجدون سفن أوربا الحربية قادمة لمساعدتهم ، والى جانب ذلك كان القنصل الانجليزى يبلغ الثوار باستعدادات السلطة ضدهم وبالكمائن التى أعدت لهم من قبلها فعلى سبيل المثال حذرهم من الاقتراب من منطقة المحجر الصحى نظرا لقيام ابراهيم باشا بنصب بعض مدافعه فيها لحصد كل من يقترب منهـــا[٣] .

والى جانب ذلك كان بعض عملاء الانجليز يمدون الثوار بالبارود والرصاص والطعام للاستمرار فى عصيانهم وعلى سبيل المثال تذكر احدى الوثائق « أن الانجليز أرسلوا الى العصاة ألف (دستة) من الرصاص

---

(١) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ — ١ بتاريخ ٨ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(٢) سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(٣) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ — ٧ بتاريخ ٦ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ ، ص ٤ .

وكمية من البارود »[٤] كما كانوا يمدونهم بكافة المعلومات ويؤكد ذلك ما ذكرته وثيقة أخرى من أن احدى السفن الانجليزية أقلعت من أمام بيروت « وأبحرت الى ميناء جونية وأرست فيه وأنزلت الى البحر أحد قواربها .. وفى هذه الفترة وصل الى السفينة شخصان من أهالى جونية سابحين وصعدا الى السفينة ، وهناك جرت مكالما تمعهما كثيرة ثم سلمت اليهما مكاتبات وعادا الى البر سابحين »[٥] . كما كانت هناك احدى السفن تقصر مهمتها على « اثارة الفتنة فى جبال بر الشام »[٦] يضاف الى ذلك أن أحد التجار الانجليز كان يقوم « بالدعاية للفتنة وطاف كثيرا فى جهة الزوق فى جبل الدروز تحقيقا لهذه المهمة التى انتدب لهـا »[٧] . هذا الى جانب تحريض الانجليز لباقى الأهالى على الانضمام الى الثوار عن طريق شائعاتهم المغرضة[٨] .

أما عن فرنسا فقد كانت ترغب فى التعرف على أخبار بلاد الشام أولا بأول رغبة منها فى ترجيح كفتها السياسية على الانجليز والروس ، وتحقيقا لآمالها فى هذه المنطقة[٩] . ونتيجة لذلك شجعت اللبنانيين على استمرار عصيانهم[١٠] ودست بعض مواطنيها مع الثوار لتشـديد عزائمهم على مقاومة السلطة ، وتوزيع الرصاص والبارود والنقـود

---

(٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٤—١ بتاريخ ١١ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من (محمد شريف باشا الى الجناب العالى).

(٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة ترجمة المكاتبة التركيـة رقم ٢٤٠ — ٢٩ بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٥٦ هـ .

(٦) الوثيقة نفسـها .

(٧) الوثيقة نفسها .

(٨) لمزيد من التفاصيل انظر : محفظة رقم ٢٥٩ الوثيقة ١٥٨ — ٦ .

(٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الكتاب العربى رقم ١٥٤— ٣ بدون تاريخ .

(١٠) الوثيقة نفسها .

عليهم[١١] . كما قام القنصل الفرنسى فى بيروت بمساندة هذه الحركات مما جعل الادارة المصرية تتشكك فى أمر وجوده وتطلب استبداله[١٢] يضاف الى ذلك أن البابوية كان لها مندوب فى الجبل « لا ينفك عن معاونة هؤلاء العصاة ولا يزال يؤيدهم فى عصيانهم »[١٣] .

والى جانب ذلك كان هناك شخص من سردينيا « يقوم بمعاونة هؤلاء العصاة »[١٤] .

ونتيجة لهذه المعاونة من الأوربيين للعصاة ، رد لهم الثوار الجميل فكتب زعماؤهم الى القناصل أمانا « بأنهم لم يتعرضوا لاتباعهم اذا ما ساروا الى أى جهة من الجهات وأن فى استطاعتهم أن يحملوا غلالهم لطحنها فى المطاحن دون أن يصابوا بسوء »[١٥] .

أما عن مؤازرة الدولة العثمـــانية للثوار فمنذ البـــداية والدولة العثمانية تبذل كل ما فى وسعها من أجل القضاء على نفوذ محمد على فتارة اتهمته بالكفر والالحاد ، وتارة أخرى اتهمته بالمروق عن الاسلام لعصيانه الخليفة[١٦] .

---

(١١) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقة رقم ١٧١ صورة الافادة الواردة من محافظ بيروت الى سليمان باشا بتاريخ ١٤ ربيع الثـــانى ١٢٥٦هـ وايضا سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(١٢) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

(١٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقة رقم ١٧١ ، صورة الافادة الواردة من محافظ بيروت الى سليمان باشا بتاريخ ١٤ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ.

(١٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقة رقم ١٧١ صورة الافادة الواردة من محافظ بيروت الى سليمان باشا بتاريخ ١٤ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ.

(١٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ — ٨ بتاريخ ٤ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من (محمود نامى الى الجنـــاب العالى) .

(١٦) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

والى جانب ذلك فقد أخذ العثمانيون فى دس الدسائس ضد الادارة المصرية وحاولوا استمالة أهالى الجبل بشتى الوسائل اليهم فاستمالوا أرباب الزعامات منهم ، ووعدوهم برفع كافة المظالم عنهم ، واقامة العدل بينهم حينما تعود الأمور اليهم ، وطالبوهم بنصرة السلطان أمام محمد على والخضوع للدولة العثمانية التى نعتوها « بالوالدة الرحيمة لهم » كما طالبوهم أن يثمروا عن ساعد الجد حتى يتم لهم التخلص من قوات محمد على[١٧] يضاف الى ذلك أن أخذ بعض أتباع الدولة العثمانية فى استنفار أبناء الشام المسلمين لمقاومة ابراهيم باشا فصعد بعضهم الى احدى المآذن وصاح بأعلى صوته فى الحاضرين « ليقم كل رجل منكم يحب الرسول الى سلاحه فينقلده وليذهب لقتال ابراهيم باشا الرجل الكافر الذى لا ايمان له » كما اتهمه بالسكير « الذى يد من الخمر ويشرب النبيذ ، ويأكل لحم الخنزير ..والذى يسكن الأديرة مع القساوسة ، ويصلى معهم ولا يذهب الى المساجد قط »[١٨] .

ونتيجة لكل هذه الشائعات المغرضة أعلن أهالى الجبل خضوعهم للسلطان عبد المجيد وأرسلوا اليه شاكين سوء أحوالهم[١٩] ، فحرضهم على استمرار مناوشاتهم للقوات المصرية ، حتى يتم اخراجها من بلاد الشام تماما .

---

(١٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ — ٥ بتاريخ ٢٥ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٨) بيير كربيتس : ابراهيم باشا — ترجمة محمد بدران — القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧ ، ص ٢٢٠ . وأيضا :

Dodwell, Henry : The Founder of Modern Egypt p. 156.

(١٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة المكاتبة العربية ١٦٤—٢ بتاريخ ٢٨ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .